ما الدرس المستفاد من "جاليليو" ؟

كثيرًا ما يُتهم مؤمنو بمبدأ الخليقة بمعارضة العلم من الناحية اللاهوتية . يتضمن عادة هذا الجدال تحذيرًا قويًا يذكرنا باضطهاد رجال الدين لـ"جاليليو" . لقد أثبت التاريخ صحة كلام "جاليليو" وخطأ السلطات الدينية التى كانت تعارضه . وهذا مثال بسيط يحذرنا به العلماء من أن أى تدخل فى النظريات العلمية من رجال الدين يرقى إلى مستوى الاضطهاد الدينى .

إن قصة كفاح "جاليليو" ليتم قبوله فى المجتمع ليست واضحة الملامح لكنها من أعقد الأحداث التى سجلها التاريخ وأكثرها إثارة . محاكمة "جاليليو" لم تكن صراعًا بسيطًا بين العلم والدين كما يتصورها الناس بل كانت صراعًا قويًا معقدًا دار حول أساسيات الكرامة الشخصية والمهنية والحسد والطموح .

كان مسرح أحداث هذه المأساة قد ترتب قبل وقوعها بعدة سنوات أثناء الفترة التى يعرفها العامة باسم "الإصلاح البروتستانتى" . تم التشكيك فى سلطة الكنيسة الكاثوليكية أثناء فترة الإصلاح ورأى رجال الدين والناس العاديين أن "روما" هجرت المعتقدات المسيحية الحقيقية . هز الإصلاح أسس سلطة الكنيسة وأفقدها الكثير من نفوذها العالمى . كونت الكنيسة الكاثوليكية أثناء انعقاد مجلس "ترنت" (بإيطاليا الآن) فهرسًا للأعمال الأدبية المحظورة على الكاثوليك بكل أنحاء العالم ، تضمن الكتب المعارضة للتفسيرات التقليدية الكتاب المقدس .

مما يثير السخرية هو أن المعتقدات التقليدية التى عارضها "جاليليو" كانت لـ"أرسطو" وليس لها أى سند كتابى . امتزجت الفلسفة الوثنية بالتعاليم الكاثوليكية التقليدية اثناء الفترة التى عاش فيها "أغسطينوس" . استبقاء عقائد الكنيسة التقليدية كان من أهم الموضوعات التى دار حولها الجدال ولم يكن الكتاب المقدس محل اهتمام أحد . جدير بالملاحظة أن البابا "أوربان" الثامن كان متعاطفاً مع "جاليليو" لكنه لم يرغب فى الوقوف ضد التيار السائد . معظم الاضطهاد كان يأتى من العلماء

والمفكرين الذين شعروا بالتهديد فى السلطة التعليمية التى كانوا يحتكرونها . كان قساوسة الجيزويت والدومينيكان مهيمنين على التعليم أثناء عصر "جاليليو" .

أحد مظاهر تهديد "جاليليو" للتعليم هو نشر كتاباته باللغة الإيطالية ، بدلاً من اللاتينية ، التى كانت اللغة الرسمية للتعليم . حاول "جاليليو" أن يجعل أفكاره مقبولة بين عامة الشعب وتمنى أن تتسلل داخل المؤسسات التعليمية . لذا اعتبروه عدوًا للسلطات العلمية الموجودة آنذاك ونال أكبر قدر ممكن من إضطهادهم .

كان الجدال الشهير بخصوص الخليقة ضد التطور مشابهًا لمعركة "جاليليو" فى عدة نواح مع اختلاف الأدوار . كان الإيمان المسيحى فى القرن السادس عشر هو الفلسفة السائدة وسيطرت الكنيسة الكاثوليكية على النظام التعليمى . أمثال "جاليليو" الذين وهبوا أنفسهم للبحث المضنى عن الحقيقة وجدوا أنفسهم تحت رحمة السلطات التى شعرت بأن نظرياتها وأفكارها مهددة . ومع ذلك ففى القرن العشرين أصبح المذهب الطبيعى هو المذهب السائد واحتل العلم مكانًا مؤثرًا . ونلاحظ مرة أخرى أن الأغلبية (بغض النظر عن صحة الأمر أو خطأه) ستضطهد دائمًا من يتجرأ ويفند نظرياتها "التقليدية" ويتم اليوم التشكيك فى صحة نظرية التطور .

الدرس الذى نتعلمه من "جاليليو" كما يبدو ليس هو أن الكنيسة تمسكت بالحق الكتابى بشدة بل هى لم تتمسك به بدرجة كافية ، مما سمح للفلسفة اليونانية بالتأثير على العقيدة المسيحى وجعل الكنيسة تتمسك بالتقليد بدلاً من تعاليم الكتاب المقدس . لابد أن نتمسك بقوة بالكتاب المقدس من خلال وسائل تفسير صحيحة ومؤكدة وألا نكتفى بعقائد قائمة على تقاليد فلسفية .

الكتاب المقدس هو الإعلان الإلهى الوحيد المعصوم من الخطأ . المؤمن المشتعل بمحبته لخالقه وكلمته عليه أن يزن أفكاره بميزان الكتاب المقدس . ينبغى ترك هذه الأفكار التى تعارض تعاليم الكتاب المقدس السليمة ، فهذا هو هدف كل مؤمن . إذا كان هذا قد تحقق فى أيام "جاليليو" لكنا وجدنا حلاً سليمًا ومعقولاً للكنيسة الكاثوليكية يساعدها على هجر الفلسفات التقليدية الوثنية .